IJCRT.ORG ISSN : 2320-2882

INTERNATIONAL JOURNAL OF CREATIVE RESEARCH THOUGHTS (IJCRT)

An International Open Access, Peer-reviewed, Refereed Journal

التناص القرآني في روايات علي أحمد باكثير

The Quranic Intertextuality in the Novels of Ali Ahmed Bakathir

By

Dr. Md. Manzoor Hussain

(Associate Professor of Arabic and Head Department of Arabic, Govt. Degree College for Women Golconda Hyderabad)

ملخص البحث:

إن هذا المقال يدور حول التناص القرآني في روايات علي أحمد باكثير، فإن التناص مصطلح حديث بمعنى التبادل النصي واستخدام النصوص التراثية من قبل الشاعر أو الأديب، وله أشكال وأنواع. وإن حسن استخدامه يزيد القطعة الأدبية بلاغة وروعة وتأثيرا. وأهم أنواع التناص وأشرفها التناص القرآني الذي هو موضوع هذا المقال أساسيا. يتناول المقال ما استخدمه علي أحمد باكثير من التناص القرآني في رواياته بنقل العبارات من رواياته. يبدأ المقال بمقدمة كما ينتهي بخاتمة.

الكلمات المفتاحية: التناص، الرواية، علي أحمد باكثير

مقدمة:

إن الأدب له دور بناء في تنمية الشخصية، ووظيفة فعالة في تكوين المجتمع، وله تأثير قوي على مشاعر القارئين، إلا أن هذا الدور لا يكون دائما مما يحمد، فإنه قد يكون مما يذم. فإن الأدب قد يلعب دورا إيجابيا وقد يلعب دورا سلبيا، فإن المحتوى والأسلوب والنزعة والصياغة والمضمون والاتجاه مما يجعل دوره إيجابيا كما يجعل دوره سلبيا. ومما لا حاجة إلى بيان أن العصر الحديث شهد كمًّا هائلا من الإنتاجات الأدبية التي تلعب دورا سلبيا، وتؤدي إلى إفساد الجيل الجديد، حيث لا توافق مع المبادئ الإسلامية والقيم الخلقية؛ بل تعارضها وتخالفها.

فاسترعى هذا الدور السلبي انتباه الأدباء الإسلاميين وأقلقهم وأرقهم، فاهتموا بإسلامية الأدب وتصبيغه بصبغة إسلامية، وتضمينه بالمبادئ الإسلامية وتقديمه من التصور الإسلامي للخالق وما خلق، وإعداد كم هائل من الأدب على أساس القيم الإسلامية، وإنتاج أصناف الأدب من المسرحية والرواية والقصة. ومن أولئك الأدباء علي أحمد باكثير، فإن له مساهمة بناءة في تطوير الأدب الإسلامي، وأنتجوا المسرحيات والروايات من خلال التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان. ومما تتميز به كتاباته وخاصة رواياته من ناحية إسلامية هو التناص القرآني الذي سأقدم نماذج منه في هذا المقال.

نبذة من حياة علي أحمد باكثير:

هو علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن سالم بن عبد الغفار بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن عبد القادر بن محمد بن سلمة بن عيسى بن سلمة باكثير.[1] ويصل نسب باكثير إلى كندة، وينتهي نسبه إلى قحطان بن النبي هود عليه السلام.[2]

ولد علي أحمد باكثير بمدينة سورابايا في جزر الهند الشرقية (إندونيسيا) سنة 1910م، كان والداهما حضرميين عربيين. قضى باكثير أيام صباه بمدينة مولده، ثم أرسله أبوه إلى موطن آبائه حضرموت عند ما طعن في الثامنة من عمره، فوصل اليمن لأول مرة منذ ولادته سنة 1918م، ثم رجع إلى إندونيسيا سنة 1927م، ثم عاد إلى اليمن بعد عامين، وبعد ذلك لم يرجع إلى مولده إندونيسيا قط.

بدأ دراسته البدائية بمدينة سيوون من مدن حضرموت، بدأ الدراسة في الكتاب، ثم انتقل إلى المعهد الديني، ثم تحول إلى مدرسة النهضة، تلقى في هذه المراحل الدراسية العلوم العربية والدينية. وهذه الدراسة تعادل شهادة المرحلة الإعدادية، ثم حصل على شهادة الثانوية العليا (البكالوريا). ثم التحق باكثير بالجامعة المصرية سنة 1934م، وواصل دراسته بكلية الآداب بقسم

اللغة الإنجليزية من جامعة فؤاد الأول، وتخرج منها سنة 1939م، ونال منها درجة الليسانس في الأدب الإنجليزي. ثم التحق بمعهد التربية للمعلمين وتخرج منه سنة 1940م، ونال من هذا المعهد شهادة الدبلوما العالي.

بعد أن أكمل الدراسة آثر باكثير السكنى بمصر، فلم يعد إلى موطنه ولا إلى مولده، واستقر بمصر، وتزوج بها وقضى حياته بها كاتبا المسرحيات والروايات ومساهما في الأدب العربي الإسلامي وقارضا الشعر العربي. وقبل وفاته بسنة زار باكثير موطنه اليمن سنة 1968م، ثم رجع إلى مصر، وتوفي بها في يوم الاثنين 10 / نوفمبر 1969م، وكان آخر يوم من شعبان، وصلي عليه ودفن صباح أول يوم من رمضان.[3]

إنتاجات باكثير في الرواية العربية

ذاع صيت باكثير بصفته كاتبا للمسرحيات، ولا ريب في أنه ساهم مساهمة بناءة فعالة في تطوير المسرحيات، إلا أنه لم يكتف بكتابة المسرحيات فحسب، فإنه لعب دورا مهما في تطوير الرواية وإسلاميتها، وكتب روايات تاريخية نالت قبولا واسعا لدى المعنيين والمولعين بها، ونال باكثير جائزة على بعض رواياته، كما تم إخراج بعض رواياته للسينما. كتب باكثير ست روايات تاريخية، وهي:

1. سلامة القس
2. وا إسلاماه
3. ليلة النهر
4. الثائر الأحمر
5. سيرة شجاع
6. الفارس الجميل

ومن الجدير بالذكر أن الأديب عبد الحميد جودة السحار أسس "لجنة النشر للجامعيين" سنة 1943م، وكان هدفه الرئيسي نشر إنتاجات الأدباء الشباب، وكان باكثير ونجيب محفوظ من أوائل المنضمين إليها، فاتجه جودة السحار ونجيب محفوظ وعلي أحمد باكثير إلى كتابة الرواية التاريخية، فكتب السحار "أحمس بطل الاستقلال"، ونجيب محفوظ "زادوبيس"، وباكثير "سلامة القس"، وقامت اللجنة بإصدار هذه الروايات، فنالت قبولا وترحيبا لدى القراء والأدباء، وفازت رواية "سلامة القس" لباكثير ورواية "زادوبيس" لنجيب محفوظ جائزة "السيدة قوت القلوب الدمراداشية"، وفازا هما بالاشتراك بجائزة أخرى، وهي "جائزة وزارة المعارف"، نالاها على رواية "وا إسلاماه" و"كفاح طيبة"، كتب الأولى منهما علي أحمد باكثير، وكتب الثانية منهما

نجيب محفوظ. وما يميز رواية باكثير عن رواية نجيب محفوظ هو الاتجاه الإسلامي مع النزعة القومية العربية.

التناص لغة واصطلاحا:

التناص مصدر من تناص يتناص (أصله تناصص يتناصص على زنة تقابل يتقابل)، ومادته: ن، ص، ص. وهو لغة: الاتصال والازدحام. ففي لسان العرب "هذه الفلاة تناص أرض كذا وتواصيها أي يتصل بها".[4] وفي تاج العروس: "انتص الرجل انقبض، وتناص القوم ازدحموا".[5]

أما في الاصطلاح فهو تداخل واستخدام النصوص التراثية المختلفة من قبل الشاعر أو الأديب بشكل فني.[6] فهو التبادل النصي.[7]

أقسام التناص:

قد قسم الأدباء المعاصرون التناص على أقسام كثيرة، منها ما يلي:

التناص الشعوري: الاقتباس اللفظي الصريح الذي يضعه الأديب بين قوسين.

التناص اللاشعوري: فهو التناص الذي لا يستطيع القارئ العادي أن يقف على أجزائه.

التناص المباشر: هو اجتزاء قطعة من النص أو النصوص السابقة ووضعها في النص الجديد الذي يكتبه الأديب بعد توطئة لها مناسبة تجعلها تتلاءم مع الموقف الاتصالي الجديد وموضوع النص.

التناص غير المباشر: فهو الذي يستنبط من النص استنباطا، ويرجع إلى تناص الأفكار أو المقروء الثقافي أو الذاكرة التاريخية التي تستحضر تناصها بروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها، وتفهم من تلميحات النص وإيماءاته وشفرته وترميزاته.[8]

التناص القرآني الشعوري في روايات باكثير

يمكن أن نقسم التناص القرآني الشعوري الذي استخدمه علي أحمد باكثير في رواياته إلى التصديرات والاستشهادات، وتعني التصديرات السطور الأولى التي ابتدأ بها المؤلف كتابه، وتعني الاستشهادات القرآنية ما ذكره المؤلف في ثنايا الكتاب وطياته.

التصديرات القرآنية:

صدر باكثير رواية "سلامة القس" بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾[9]

وصدر رواية "وا إسلاماه" بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾.[10]

وصدر رواية "الثائر الأحمر" بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾.[11]

الاستشهادات القرآنية:

قد أحسن باكثير ما استشهد بالآيات القرآنية، وأذكر هنا عبارتين على سبيل المثال:

- "فعجب الشيخ من هذا الحديث، وتلا قوله تعالى: "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير".[12]
- "فأيما سلطان أو ملك أو أمير فرط في حفظ بلاد المسلمين، وعرضها للوقوع في أيدي الكافرين، فقد أبرأ ذمة الله والمسلمين منه، وخلع بيده طاعتهم له، وظلم نفسه، .... ثم تلا قوله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم، لا تعلمونهم، الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون".[13]

التناص القرآني اللاشعوري في روايات باكثير

سبق أن التناص اللاشعوري هو التناص الذي لا يستطيع القارئ أن يعرف مصدر العبارة الأصلية الذي أخذها الأديب منه، ولا يضع الكاتب ما تناصه بين قوسين. وهذا التناص ينقسم إلى قسمين: التناص المباشر، والتناص غير المباشر.

التناص القرآني المباشر في روايات باكثير:

يقول باكثير في روايته "سلامة قس":

"لعلمه أن النفس أمارة بالسوء، وأن أملاك التقوى الابتعاد عن مواطن الشر والفرار من أماكن الريبة".[14] فيه تناص مع قول الله عز وجل: "إن النفس لأمارة بالسوء".[15]

ويقول في روايته "وا إسلامه":

"سيكون لك من معونة الله وتوفيقه إذا أخلصت الجهاد في سبيله ما يشرح لك صدرك ويمنع عنك وزرك الذي أنقض ظهرك، ويرفع لك بهزيمة التتار عند الله وعند الناس ذكرك".[16]

في العبارة تناص مع الآية القرآنية: "ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، الذي أنقض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك".[17]

التناص القرآني غير المباشر في روايات باكثير:

من أمثلته ما كتب باكثير في روايته "سلامة القس":

"وقال عبد الرحمن: خفض عليك يا عم. إنك غير مسؤول عن عمله".[18]

في العبارة تناص غير مباشر مع قول الله عز وجل: "ولا تزر وازرة وزر أخرى".[19]

الخاتمة:

إن الأديب الحضرمي الإسلامي علي أحمد باكثير من أبرز الأدباء الذين لهم مساهمة جبارة في إسلامية الأدب العربي الحديث، فإنه لعب دورا بارزا بناء ومؤثرا في تطوير الأدب الإسلامي، وإنه كتب كثيرا من المسرحيات وعديدا من الروايات، وكل ما كتب مصبوغ بصبغة إسلامية، ومن الأساليب التي اعتمدها لتطوير الأدب الإسلامي التناص القرآني، فإنه استخدمه في كل إنتاجاته، بما فيها رواياته، فصدر عددا من رواياته بالآيات القرآنية، كما استشهد بالآيات القرآنية في طيات رواياته، هذه مما يتعلق بالتناص الشعوري، أما التناص اللاشعوري فإنه استخدمه أيضا، فقد تناول التناص المباشر وغير المباشر في رواياته، هذا كله يدل على سعة ثقافته، وحفظه الآيات القرآنية، ونزعته الإسلامية، وفكره الديني، واهتمامه بإنتاج أدب له دور إيجابي، وله صبغة إسلامية.

الهوامش:

[1] محمد بن محمد بن أحمد باكثير: البنان المشير إلى علماء وفضلاء آل أبي كثير. ص 23
[2] عبد القوي محمد الحصيني: شعر علي أحمد باكثير الرؤية والفن (رسالة قدمها إلى جامعة صنعاء سنة 1999م لنيل شهادة الدكتوراه). ص 3
[3] انظر: د. محمد أبو بكر حميد: على أحمد باكثير في مرآة عصره. ص 85 و149. وعبد القوي محمد الحصيني: شعر علي أحمد باكثير. ص 12. والدكتور عبد الله السومحي: علي أحمد باكثير حياته شعره الوطني والإسلامي. ط: الأولى 1982م، جدة: دار البلاد للطباعة والنشر. ص 35
[4] ابن منظور: لسان العرب. ط: 1، 1988م، بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج 15، ص 327
[5] محمد المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. ط: 1979م، بيروت: دار الهداية. ج 18، ص 181
[6] علي سليمي وعبد الصاحب طهماسي: التاص القرآني في الشعر العراقي المعاصرة. (مجلة إضاءات نقدية: 2012م). ص 82
[7] أحمد ناهم: التناص في شعر الرواد. ط: 2007م، القاهرة: دار الآفاق العربية. ص 19
[8] أسامة شكري الجميل العدوي: التناص القرآني في الشعر العباسي دراسة بلاغية نقدية. ص 3271
[9] يوسف: 24
[10] التوبة: 24
[11] الإسراء: 16
[12] آل عمران: 26
[13] الأنفال: 60
[14] على أحمد باكثير: سلامة قس. ص 107
[15] يوسف: 53
[16] على أحمد باكثير، وا إسلاماه. ص 135
[17] الإنشراح: السورة كاملا
[18] علي أحد باكثير، سلامة القس. ص 48
[19] فاطر: 18

المراجع والمصادر:

1. محمد بن محمد بن أحمد باكثير: البنان المشير إلى علماء وفضلاء آل أبي كثير. ط:
2. عبد القوي محمد الحصيني: شعر علي أحمد باكثير الرؤية والفن (رسالة قدمها إلى جامعة صنعاء سنة 1999م لنيل شهادة الدكتوراه).
3. د. محمد أبو بكر حميد: على أحمد باكثير في مرآة عصره. ط: 1998م، القاهرة: مكتبة مصر.
4. عبد القوي محمد الحصيني: شعر علي أحمد باكثير.
5. الدكتور عبد الله السومحي: علي أحمد باكثير حياته شعره الوطني والإسلامي. ط: الأولى 1982م، جدة: دار البلاد للطباعة والنشر.
6. ابن منظور: لسان العرب. ط: 1، 1988م، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
7. محمد المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. ط: 1979م، بيروت: دار الهداية.
8. علي سليمي وعبد الصاحب طهماسي: التاص القرآني في الشعر العراقي المعاصرة. (مجلة إضاءات نقدية: 2012م).

9. أحمد ناهم: التناص في شعر الرواد. ط: 2007م، القاهرة: دار الآفاق العربية.
10. أسامة شكري الجميل العدوي: التناص القرآني في الشعر العباسي دراسة بلاغية نقدية.
11. على أحمد باكثير: سلامة قس. ط: القاهرة: مكتبة مصر.
12. على أحمد باكثير، وا إسلاماه. ط: القاهرة: مكتبة مصر.